توظيف فنون علم البيان في بناء الفعل الإنجازي للخطاب اللغوي
(الخطاب الحِكَمي في نهج البلاغة أنموذجا)

م.د. أحمد دريس حسن

العراق / جامعة ذي قار / كلية العلوم الإسلامية

didr50915@gmail.com

الملخص :

اهتم علماء البلاغة والباحثون في فنونها بأهمية فنون علم البيان المتمثّلة (بالتشبيه والاستعارة والكناية) في بناء الخطاب سواء أكان ذلك في القرآن الكريم أم الموروث الأدبي بشقيه الشعري والنثري ، فعملوا جاهدين على بيان دور هذه الفنون في تحقيق أعلى مراتب الفصاحة والجزالة فيه ؛ لذا جاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء على أثر هذه الفنون في تحقيق الفعل الإنجازي بنمطيه المباشر وغير المباشر في الخطاب الأدبي .

ونظرا لما يتسم به مصنف نهج البلاغة للإمام علي (عليه السلام) بأعلى مراتب الفصاحة والجزالة والبيان ؛ التي دفعت العديد من الباحثين والدارسين من القدماء والمحدثين ليكون ميدانا رحبا لدراساتهم ، مما دفع الباحث لاتخاذه نموذجا من النماذج الفصيحة وميدان عمل له ، مسلطا الضوء على الخطاب الحِكَمي فيه ؛ لما وجده فيه من أثار تلك الفنون البيانية في تحقيق القوة الإنجازية للفعل القولي .

الكلمات الافتتاحية : (التداولية ، أفعال الكلام ، المقاصد المباشرة ، المقاصد غير المباشرة ، التشبيه ، الاستعارة ، الكناية) .

Employing the arts of rhetoric in constructing the performance act of linguistic discourse

(The Wisdom Discourse in Nahj Al-Balaghah as an example)

Dr . Ahmed Dreece Hassan

College of Islamic Sciences / University of Dhi Qar / Iraq

Abstracts:

The scholars of rhetoric and researchers in its arts were interested in the importance of the arts of eloquence represented (similarity, metaphor, and

metonymy) in constructing discourse, whether it is in the Holy Qur'an or the literary heritage, in its two parts, poetic and prose. Therefore, this study came to shed light on the impact of these arts in achieving the achievement act in its direct and indirect patterns in literary discourse.

In view of what is characterized by the compilation of Nahj al-Balagha of Imam Ali (peace be upon him) from the highest levels of eloquence, eloquence and eloquence, which prompted many researchers and scholars, both ancient and modern, to be a vast field for their studies; This prompted the researcher to take it as a model of the eloquent models and its field of work, highlighting the wise discourse in it; For what he found in it of the effect of those graphic arts in achieving the feative act in it.

key words: (deliberative, speech act, simile, metaphor, metonymy).

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على خير الأنام أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر المنتجبين

وبعد...

اتخذت الدراسات اللغوية منحى جديدا وذلك منذ دعوة دوسوسير إلى دراسة اللغة لذاتها وفي ذاتها وفق منهج وصفي استقرائي يسلط الضوء على الظواهر اللغوية في بيئة معينة وزمن محدد من حياة اللغة ؛ مما فتح . ذلك . الباب على مصراعيه أمام اللسانين والباحثين في الدرس اللغوي فأشبعوا البحث اللساني درسا وتمحيصا متخذين من المناهج اللسانية الحديثة كالبنيوية والسيميائية والتداولية وحتى التفكيكية طريقا يرتكزون على معاييره وآلياته في البحث والتنقيب في ظواهر اللغة المختلفة التي تدور في إطار تلك المناهج .

وشمل المنهج التداولي مساحة واسعة من تلك البحوث والدراسات ؛ وذلك لما يتسم به من أهمية كبيرة لدى الباحث اللساني ، كونه يهتم بدراسة اللغة في الاستعمال

وسياقات التواصل ، وبذلك بدأت إرهاصات الدرس التداولي الأولى وفق المنهج اللساني العلمي الحديث عند بيرس وموريس اللذين أشارا إلى المنهج التداولي في بحوثهم اللغوية مرورا بفنجنشتاين الذي استقر منهجه البحثي على دراسة اللغة في سياق الاستعمال ، بعد أن تخلّى عن منهجه الفلسفي المنطقي في دراستها ، القائم على معايير صحة مطابقة الأقوال للوقائع الخارجية من عدمها .

وتعد نظرية الأفعال الكلامية . ميدان بحثنا هذا . التي وضع أسسها أوستن واستقرت منهجا متكاملا عند سيرل من أبرز مباحث الدرس التداولي .

وانطلاقا من متطلبات منهج البحث العلمي المتكامل وإحاطة بموضوع البحث ؛ ارتأى الباحث أن يقسم البحث على مطلبين : الأول تنظيرى تناول . بشكل مختصر . مفهوم التداولية ونشأتها وأبرز علمائها مع إشارة إلى تقسيم الأفعال الكلامية الإنجازية عند أوستن وسيرل .

الثاني : تطبيقي بيّن فيه الباحث دور فنون علم البيان (التشبيه والاستعارة والكناية) في بناء القوة الإنجازية للفعل القولي في الخطاب الحِكَمي للإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة بعد أن اعتمده الباحث ميدانا للبحث والتحليل . فكلام الإمام علي (عليه السَّلام) من حيث البلاغة و الفصاحة في أعلى مستوى من الروعة ، بحيث لا يضاهيه كلام غيره قط ، كيف لا وعلي (عليه السَّلام) أمير البيان و مَشرَع الفصاحة و البلاغة .

المطلب التنظيري :

أولا . التداولية :

التداولية هي أحد فروع علم اللسانيات الحديثة ، إلّا أن جذور المصطلح قديمة تعود إلى الفكر اللغوي اليوناني ، إذ يقابلها فيه مصطلح (pragmaticus) التي تعني الغرض العلمي أو المنهجية العلمية [١] ، وقد ترجم المصطلح إلى العربية بمصطلحات عدّة منها : التبادلية ، والاتصالية ، والنفعية ، والذرائعية [٢] .

تعود الإرهاصات الأولى في استعمال مصطلح التداولية بمفهومه الحديث إلى الفيلسوف الأمريكي (تشارلس بيرس) ؛ وذلك عندما دعا إلى تناول الدليل اللغوي بأبعاده الثلاثة : البعد التركيبي والبعد الدلالي والبعد التداولي[٣] .

ثمّ نجد تشارلس موريس . الذي يُعد هو الآخر من منظري ومؤسسي التداولية . لا يبتعد كثيرا عن بيرس في منهجه العلمي ؛ وذلك عندما جعل التداولية جزءا من السيميائية عند تمييزه لثلاثة فروع لهذه الأخيرة ، وهي : التركيب وعلم الدلالة والتداولية [٤] .

ولكن لم تصبح التداولية ميدانا للباحثين والدارسين في الدرس اللساني الحديث إلّا في منتصف القرن العشرين على يد كرايس وأوستن وسيرل ، إذ عملوا جاهدين على وضع معايير عامة يشترك فيها كل من المرسِل والمخاطب لانجاح عملية التواصل الخطابي وتبيين مراد المتكلم [٥] .

تعني التداولية ((الكيفية التي تتحقق بها اللغة عند الاستعمال وعند التخاطب ، وتندرج هذه القضايا كلها في إطار تيار من الدراسات والنظريات تسمى عند أهل الاختصاص بالتداولية))[٦] ، ويشكل البحث في مقاصد المتكلم والوصول إلى غرض الخطاب الهدف الرئيس للتداولية ؛ لذا قد تتعدى التداولية المعنى الظاهر للكلام أو الحرفي إلى المعنى المستتر ؛ لذا فهي فرع من فروع علم اللغة يبحث في كيفية اكتشاف المتلقي لمقصد المتكلّم ، فقول المتكلم : أنا عطشان قد تخرج عن سمتها الخبرية بالعطش لتدخل في الفعل الإنجازي الأمري المتمثّل
بطلب منتج النص أن يُجلب له كوب من الماء ، فكثيرا ما يقول المتكلم شيئا ويعني شيئا آخرا[٧] .

ولا تنتمي التداولية إلى أي مستوى من مستويات الدرس اللغوي سواء أكان صوتيا أم صرفيا أم تركيبيا أم دلاليا ، بل هي تستوعب المستويات جميعا ، أضف لذلك أنها لا تمتلك أنماطا تجريدية ووحدات تحليل ، ولا تندرج تحت أي علم من علوم اللغة مع أنها تتداخل معها في بعض جوانب الدرس كعلم الدلالة وعلم اللغة الاجتماعي وعلم اللغة النفسي وتحليل الخطاب وغيرها [٨] .

ونتيجة لهذا التداخل واتساع مجالات التداولية أصبح من الصعب وضع تعريف جامع مانع لها ، فضلا عن كثرة التعريفات التي لم تسلم من المآخذ[٩] ؛ ويبدو أن أكثر التعريفات قبولا هو أن التداولية تعني ((دراسة اللغة في الاستعمال))[١٠] ؛ وذلك لأن معنى المتكلم لا يمكن الوصول إليه بالكلمات وحدها ، ولا يرتبط بالمتكلم دون السامع ، أو بالسامع وحده ، بل أن مقصدية الخطاب تقوم على أساس مجموعة عوامل متمثلة في تداول اللغة بين المتكلم والسامع في سياق معين لغوي أو مادي أو اجتماعي وصولا إلى المعنى الكامن في الخطاب[١١] .

لقد رأى بعض الباحثين في مقاصد الكلام أن للمعنى ثلاثة مستويات : المعنى اللغوي المأخوذ مباشرة من دلالة الكلمات والضمائم والجمل ، ومعنى الكلام وهو المعنى السياقي ثم

المعنى الكامن وهو معنى المتكلم [١٢] .

وقد حدّد بعض الباحثين المميزات التي تتميز بها التداولية عن غيرها ، وهي [١٣] :

١. تقوم التداولية على دراسة الاستعمال اللغوي ، وموضوع البحث فيها هو توظيف المعنى اللغوي في الاستعمال الفعلي .

٢. لا تمتلك التداولية وحدات تحليل خاصة بها ، ولا موضوعات مترابطة .

٣. تدرس التداولية اللغة في جانبها الوظيفي العام سواء أكان معرفيا أم ثقافيا أم اجتماعيا .

٤. تعد التداولية نقطة التقاء مجموعة من العلوم المختلفة ذات الصلة باللغة .

نتيجة لهذا الاتساع في الدرس التداولي وتداخله مع العلوم الأخرى ؛ فقد ظهرت لنا مجموعة من أنواع التداولية منها : التداولية الاجتماعية التي تهتم بدراسة شرائط الاستعمال اللغوي المستنبطة من السياقات الاجتماعية ، والتداولية اللغوية التي تهتم بدراسة اللغة في سياقها التركيبي ، والتداولية التطبيقية التي تعنى بمشكلات التواصل في المواقف المختلفة كجلسات المحاكمة والاستشارات الطبية ، والتداولية العامة التي تهتم بدراسة اللغة في وظيفتها الاتصالية [١٤] .

ويؤكّد الدارسون أن الدرس التداولي يقوم على أربعة عناصر هي : (الإشارة ، والافتراض السابق ، والاستلزام الحواري ، والأفعال الكلامية)[١٥] ، وسنترك الحديث عن العناصر الثلاثة الأولى دون العنصر الرابع (الأفعال الكلامية) ؛ لأنه ميدان عملنا في المبحث التطبيقي .

ثانيا . الأفعال الكلامية :

تعد نظرية الأفعال الكلامية من أهم مباحث الدرس التداولي ، ويعد كل من فلاسفة اللغة فنجنشتاين وأوستن ورسل من مؤسسي هذه النظرية وروّادها.

يعد فنجنشتاين من العلماء المتأثرين بعلمي الفلسفة والمنطق ؛ لذا حاول دراسة اللغة من الوجهة الفلسفية المنطقية ، وذلك عندما أراد إيجاد لغة مثالية تتطابق مع الفكر الفلسفي ، ولكن سرعان ما عدل عن منهجه الفلسفي في دراسة اللغة واتجه إلى دراسة اللغة العادية ، وذلك عندما ذهب إلى أن وظيفة اللغة لا تقتصر على وصف وقائع العالم الخارجي وتقريرها ، فهناك العديد من الوظائف التي تتوخّاها الجمل اللغوية كالأمر والاستفهام والنهي والتهنئة والقسم والتحذير والتنبيه وغيرها ، ولا تخضع اللغة . عنده . إلى قواعد منطقية بحيث تؤدّي كلَ كلمة معنى محددا ، أو أن هناك معنى ثابتا لكل جملة لا يتغير مهما تغيرت السياقات ، بل أن الكلمة . عنده . تتغير بتغيّر استعمالها في المواقف اليومية المختلفة ، وتتعدد معاني الجمل ومقاصدها بتغير السياقات التي ترد فيها [١٦] .

وتأثّر أوستن بآراء فنجنشتاين ؛ فألقى محاضرات في جامعة أكسفورد بين سنتي ١٩٥٢ و١٩٥٤ وأخرى في جامعة هارفرد في سنة ١٩٥٥ ، وكانت تلك المحاضرات ردّا على فلاسفة الوضعية المنطقية الذين كانوا يرون أن هدف اللغة هو وصف وقائع العالم الخارجي بعبارات إخبارية يحكم عليها بالصدق إن طابقت الواقع وبالكذب إن لم تطابق ؛ لذا أنكر أوستن أن يكون هدف اللغة محصورا بهذه العبارات الواصفة لوقائع العالم الخارجي ؛ فأطلق على هذا المنحى الوظيفي للغة مصطلح (المغالطة الوصفية) ، وذهب إلى أن الكثير من العبارات تشبه العبارات الوظيفية في تركيبها لكنها لا

تصف وقائع العالم الخارجي ولا توصف بصدق أو كذب مثل عبارات العقود والوصية وغيرها ، وهي عبارات لا تُنشئ قولا بل تؤدّي فعلا ؛ فهي أفعال كلام [١٧] .

وتقوم نظرية الأفعال الكلامية عند أوستن على ما يأتي :

أولا : ميّز أوستن بين نوعين من الأفعال[١٨] :

١. أفعال إخبارية : وهي أفعال تصف وقائع العالم الخارجي ، ويمكن وصفها بالصدق أو الكذب ، أي هي جمل وصفية إثباتية تقريرية يمكن أن تكون كاذبة أو صادقة .

٢. أفعال أدائية (إنشائية) : وهي عبارات تؤدّي أفعالا أو تُنجز بها أفعال في ظروف وسياقات معينة ، ولا توصف بصدق أو كذب ، بل تكون . حسب تسميته . موفّقة أو غير موفّقة ، كالتسمية والوصية والاعتذار والنصح والتنبيه والتحذير وغيرها .

ولا بد . عند أوستن . من توفر شروط الملائمة وأخرى قياسية في الأفعال الأدائية لتكون موفّقة[١٩] ، فأما شروط الملائمة فهي شروط يتوقف عليها أداء الفعل أو إخفاقه ، وهي :

أ . وجود إجراء عرفي معين مقبول ، وله أثر عرفي معيّن ، ويتضمن هذا الإجراء نطق كلمات وعبارات معينة يتلفظ بها أشخاص معينون ، في ظروف معينة ، كألفاظ الزواج أو الطلاق أو العقود .

ب . أن يكون الناس مؤهلين لتنفيذ هذا الإجراء .

ب . أن يكون التنفيذ صحيحا وكاملا .

أما الشروط القياسية ، فهي شروط ليست لازمة لأداء الفعل ، بل لأدائه أداء موفقا غير معيب ، فإذا لم تتحقق كان ذلك إساءة في أداء الفعل ، وهي :

أ . أن يكون المشارك في الإجراء صادقا في أفكاره ومشاعره ونواياه .

ب . أن يلتزم المشارك في الأداء بما يلزم به نفسه .

لقد رأى أوستن أن الفعل الكلامي يتكون من ثلاثة أفعال ، وهي[٢٠] :

١. الفعل اللفظي : ويتألف من أصوات لغوية معينة ومفهومة ، تنتظم في تركيب إسنادي صحيح له معنى ، وتنتمي للغة معينة ، ويخضع لقواعد نحوية ؛ لتنتج معنى محددا (المعنى الأصلي) ، وله مرجع يحيل إليه ، وهو يتعلق بالمتكلم .

٢. الفعل الإنجازي الغرضي : وهو ما يؤديه الفعل اللفظي من معنى إضافي ، يتوارى خلف المعنى الأصلي [٢١] ، ويتحقق بقولنا شيئا ما ، أو ما يؤديه الفعل اللفظي من وظيفة في الاستعمال ، ويتعلق بتحقيق قصد المتكلم ، كالوعد والتحذير والأمر والنصح وغيرها .

٣. الفعل التأثيري : ويقصد به الأثر أو رد الفعل الذي يصدر من المتلقي أو السامع ، أو هو الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في السامع أو المخاطَب سواء أكان تأثيرا جسديا أم فكريا أم شعوريا .

ولاحظ أوستن أن الفعل اللفظي لا ينعقد الكلام إلا به ، والفعل التأثيري لا يلازم الأفعال جميعها ، فالكثير من الأفعال لا يترتب عليها أثر عند المتلقي ؛ لذا وجه اهتمامه نحو الفعل الإنجازي ؛ حتى أصبح الفعل الأخير هو أساس النظرية ، وأصبحت تسمى بنظرية الأفعال الإنجازية أو النظرية الإنجازية [٢٢] ؛ وذلك لأن الفعل الإنجازي يرتبط بمقصد المتكلم ، وعلى المتلقي أن يبذل جهدا للوصول إلى ذلك المقصد ، ولا بد أن يحاول السامع فك شفرة الخطاب ، فيقول ما هو موجود بالقوة إلى ما موجود بالفعل ؛ مما دفع ذلك أوستن إلى تقسيم الأفعال حسب قوتها الإنجازية على خمسة أصناف ، في الآن الذي لم يكن أوستن فيه راضيا عن هذا التصنيف تماما ، وهي [٢٣]:

١. أفعال الأحكام : وهي الأفعال التي تتمثل في حُكْم يصدره قاض أو حَكَم ، وقد يكون نهائيا أو مرحليا ، نافذا أو غير نافذ ، ظنيا أو تقديريا ، مثل : أُبرئ ، أُلزم ، أُشخّص ، أُحلّل ، أُقيّم ... إلخ ، أي أن أفعال الأحكام هي ممارسة لحكم .

٢. أفعال الممارسة أو أفعال القرارات : وهي الأفعال التي تتضمن اتخاذ القرارات لصالح شخص أو ضده ض، مثل : أُوظّف ، أُعيّن ، أطرد ، أُورّث ، أمنح ... إلخ ، وهي أفعال تمثّل توكيد نفوذ أو ممارسة سلطة معيّنة .

٣. الأفعال الإلزامية أو أفعال التعهّد : وهي الأفعال التي تتمثل في تعهّد المتكلم بفعل شيء ، مثل أُقسم ، أعِد ، أتعاقد على ... إلخ ، وهي أفعال تمثّل اتخاذ تعهّد أو إعلانا عن قصد .

٤. أفعال السلوك : وتكون هذه الأفعال ردّة فعل لحدث معيّن ، كالاعتذار ، والشكر ، والمواساة والتهنئة ... إلخ ، وتعبّر هذه الأفعال عن اتخاذ موقف .

٥. الأفعال التفسيرية أو أفعال الإيضاح : وتستعمل هذه الأفعال لإيضاح وجهة نظر أو بيان رأي ، أو توصيل حجة ، مثل : أؤكّد ، أُنكر ، أصف ، أجيب ، أسال ...إلخ ، أي هي أفعال تقوم على تقديم حجج ومبررات ومعلومات .

ثم جاء سيرل ليحكم الأسس المنهجية لهذه النظرية ، معتمدا على المفاهيم الأساسية التي وضعها أوستن وخاصة فيما يتعلق بالفعل الإنجازي الذي شكّل لب هذه النظرية ، ليقترن بعد ذلك اسم النظرية باسمه فأصبحت تسمى : (نظرية سيرل في الأفعال الكلامية)[٢٤] .

وتتسم نظرية الأفعال الكلامية عند سيرل بالسمات الآتية [٢٥] :

١. نص سيرل على أن الفعل الإنجازي هو الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي ، وان للقوة الإنجازية دليلا يُسمى دليل القوة الإنجازية ، وهو الذي يبيّن لنا نوع الفعل الإنجازي الذي يؤديه المتكلم عند نطق الجملة ، يتمثّل بالنبر والتنغيم في الجمل المنطوقة ، وعلامات الترقيم في اللغة المكتوبة وصيغة الفعل ، وهو ما يسمّى بالأفعال الأدائية .

٢. الفعل الكلامي . عنده . أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلم ، فهو محكوم بالعرف اللغوي والاجتماعي .

٣. جعل سيرل شروط الملائمة للفعل الإنجازي أربعة ، يمكن من خلالها التمييز بين الأفعال الكلامية المختلفة ، وهي :

أ . شروط المحتوى القضوي : ويتحقق هذا الشرط عندما يكون للكلام معنى قضوي منسوب إلى قضية معينة ، تقوم على متحدَّث عنه أو مرجع ، ومتحدَّث به أو خبر ، وهذا المحتوى القضوي هو المعنى الأصلي للقضية ، ويتحقق المستوى القضوي في سياقات زمنية معينة ، فمثلا فعل الوعد يتحقق فيه شرط المحتوى القضوي إذا كان دالا على حدث يلزم به المتكلم نفسه في المستقبل .

ب . الشرط التمهيدي : ويتحقق هذا الشرط في الفعل الإنجازي إذا كان المتكلم قادرا على إنجاز الفعل ، ولكن لا يكون الأمر واضحا عند كلّ من المتكلم والسامع أن الفعل المطلوب سينجز في السياقات المعتادة للحدث أو لا .

ج . شرط الإخلاص ويتحقق عندما يكون المتكلم مخلصا في أداء الفعل فلا يقول غير ما يعتقد ، ولا يزعم أنه قادر على فعل ما لا يستطيع فعله .

د . الشرط الأساس : ويتحقق عندما يحاول المتكلم التأثير في السامع لإنجاز الفعل .

٤. قدم سيرل تصنيفا للأفعال الإنجازية بديلا لما قدمه أوستن ، وذلك بعد أن انتقد منهج أوستن بأنه لا يقوم تصنيفه على أساس علمي واضح متين ، ولم يسلم منه . حسب رأيه . سوى أفعال التعهديات التي صنفها على أساس منهجي واضح هو الأفعال الإنجازية ؛ لذا قدّم تصنيفا بديلا للأفعال الإنجازية يراه أحكم وأضبط ، وقد أقام تصنيفه للأفعال الإنجازية على أسس منهجية ثلاثة ، وأنه سيبني عليها تصنيفه للأفعال الإنجازية ، وهي : الغرض الإنجازي ، واتجاه المطابقة ، وشرط الإخلاص ، وعلى هذا المنهج اللساني قدم سيرل تصنيفا للأفعال الكلامية يختلف عن تصنيف أوستن ، وهي (٢٦) :

أ . الإخباريات : والغرض الإنجازي فيها هو وصف المتكلم واقعة معينة من خلال قضية معينة ، وتحمل أفعال هذا الصنف سمة الصدق والكذب ، ويكون اتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم الخارجي ، وشرط الإخلاص فيها يتمثّل في النقل الأمين للواقعة والتعبير الصادق عنها ، ويتضمن هذا الصنف معظم أفعال الإيضاح عند أوستن وقسما من أفعال الأحكام .

ب . التوجيهات : وغرضها الإنجازي محاولة المتكلم توجيه المخاطب نحو فعل شيء معين ، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات ، وشرط الإخلاص فيها يتمثّل في الرغبة الصادقة ، والمحتوى القضوي فيها . دائما . فعل السامع شيئا في المستقبل ، ويدخل تحت هذا الصنف أفعال : الاستفهام ، والأمر ، والرجاء ، والنصح ، والاستعطاف ، والتشجيع ، والدعوة ، والإذن ، والتحدي الذي جعله أوستن في أفعال السلوك ، وكثير من أفعال القرارات عند أوستن تدخل في هذا الصنف .

ج . الالتزاميات : وغرضها الإنجازي التزام المتكلم بفعل شيء في المستقبل ، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات ، وشرط الإخلاص فيها القصد ، والمحتوى القضوي فيها . دائما . فعل شيء في المستقبل ، على أن الكثير مما عدّه أوستن ضمن هذا الصنف لا يدخل فيه عند سيرل .

د . التعبيريات : وغرضها الإنجازي التعبير عن الموقف النفسي بشكل يتوافق فيه شرط الإخلاص ، وليس لهذا الصنف اتجاه مطابقة بين الكلمات والعالم الخارجي ، ويدخل فيه أفعال : الشكر، والتهنئة ، والاعتذار ، والمواساة ، والترحيب .

هـ . الإعلانيات : وهي التعبيرات الكلامية التي يتوقف أداؤها الناجح بمدى مطابقة محتواها القضوي للعالم الخارجي ، ومن أمثلتها إعلان الحرب ، فإن أُدّيت أداء ناجحا ؛ فالحرب معلنة ، وسمتها الأخرى أنها تحدث تغييرا في الوضع القائم ، كما أنها تقتضي عرفا غير لغوي ، واتجاه المطابقة فيها قد يكون من الكلمات إلى العالم الخارجي أو من العالم الخارجي إلى الكلمات ، ولا تحتاج إلى شرط إخلاص .

٥. كان أوستن قد ميّز بين الأفعال اللفظية والأفعال الإنجازية ، وفرق بين الأفعال الإنجازية الصريحة والأولية ، ثمّ خطا سيرل في هذا الاتجاه خطوة أوسع ليميّز بين ما أسماه بالأفعال الإنجازية المباشرة والأفعال الإنجازية غير المباشرة ، أو الحرفية للتركيب وغير الحرفية ، فذهب إلى أن الأفعال الإنجازية المباشرة هي التي تطابق قوتها الإنجازية مراد المتكلم ، فيكون ما يقوله مطابقا مطابقة تامة حرفية لما يعنيه ، وهو يتمثّل في معاني الكلمات التي تتكون منها الجمل وقواعد التأليف التي تنتظم فيها الكلمات في الجملة ، ويستطيع السامع أن يصل إلى مراد المتكلم من خلال اعتماده على هذين العنصرين معا .

أما الأفعال الإنجازية غير المباشرة فهي التي تخالف قوتها الإنجازية مراد المتكلم ، كأن يكون التركيب اللغوي ذا قوة إنجازية أصلية تدل على الاستفهام ؛ كونه مصدرا بأداة استفهام ، إلّا أن مراد المتكلم هو الأمر أو النفي ، أو هي الأفعال التي ينتقل فيها اللفظ أو التركيب من المعنى الحقيقي الوضعي إلى المعنى المجازي ؛ لذا تحتاج إلى تأويل للوصول إلى قصد المتكلم ومراده كاستعمال أسلوب الاستعارة والكناية[٢٧] ؛ إذ

تدفع هذه التراكيب المستمع للانتقال من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي للوصول إلى مراد المتكلم وقصده [٢٨] .

وذهب سيرل إلى أن الأفعال الإنجازية غير المباشرة لا تدل هيئتها التركيبية النحوية على زيادة في المعنى الإنجازي الحرفي ، إنما تتحقق الزيادة من مراد المتكلم من الخطاب ، كما أن السامع يصل إلى مراد المتكلم من خلال التعاون القائم بينه وبين المتكلم اعتماد على مبدأ التعاون الحواري عند كرايس[٢٩]، سواء أكان ذلك من خلال حفظ معايير هذا المبدأ في التواصل الخطابي أم خرقها [٣٠] .

المطلب التطبيقي :

يعد علم البلاغة . بكل فنونه من بيان ومعان وبديع . من أهم العلوم التي يبنى عليها الخطاب العربي ؛ وذلك لما حوته تلك الأساليب البلاغية من أسرار الفصاحة والجزالة والبيان ، بل عدّ تعلم علم البلاغة ومعرفة الفصاحة من أحق العلوم بالتعلم ؛ وذلك لما يقوم به من دور في معرفة وجوه إعجاز القرآن الكريم ، ومعرفة ما خصّه الله به من حسن التأليف وبراعة التركيب ، وما ضمّنه من حلاوة ، وجلّله برونق الطلاوة ، والوقوف على جزالة الكلمة وعذوبتها وسلاستها وفصاحتها [٣١] ، فليست البلاغة وسيلة جمالية تكشف لنا عن جماليات التعبير وصوره البيانية فحسب ((بل هي أيضا فلسفة التفكير ، ثقافة المجتمع ، إيديولوجية الطبقات ، أسلوبية الحوار ، فهي مثال العقل البشري عموما))[٣٢] .

ويلحظ عند بناء الخطابات ذات السياقات اللغوية البلاغية المتضمّنة فنون علم البيان المتمثلة بالتشبيه والاستعارة والكناية حضور قضية المعاني الأُوَل والمعاني الثواني بشكل كبير أو قضية المعنى ومعنى المعنى[٣٣] ، تلك القضية الخطابية البلاغية التي شغلت مساحة واسعة من البحث البلاغي عند علماء البلاغة الأوائل والمتأخرين ، ومنهم الجرجاني (ت٤٧١هـ) الذي اهتم بها كثيرا ، وجعلها أحدى وسائل الاستدلال البلاغي الموصلة إلى معرفة المعاني وأغراض الكلام ؛ فنجده يقول : ((إن الاستدلال الذي يهتم به البلاغي إنما هو الاستدلال التي تقتضيه الملازمات بين

المعاني الأولى والمعاني الثواني بحيث يتخذ معنى اللفظ دليلا على معنى آخر يمثل الغرض))[٣٤] .

وقد فرّق الجرجاني بين المعنى الظاهري وهو المفهوم الذي تحمله العبارة بمعناها السطحي ، أي المعنى الذي تصل إليه دون إعمال فكر أو جهد ، والمعنى الثاني أو ما يسمى بمعنى المعنى الذي تصل إليه بواسطة توظيف المعنى الأول الظاهري للفظ للوصول إلى المعنى الثاني الذي يريده منتج النص ، وهذا ما بيّنه الجرجاني بقوله : ((فهاهنا عبارة مختصرة وهي أن تقول : المعنى ومعنى المعنى ، تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ ، والذي تصل إليه بغير واسطة ، ومعنى المعنى ، أن تعقل من اللفظ معنى ، ثمّ يفضي بك المعنى إلى معنى آخر))[٣٥] .

وقد بيّن الجرجاني كيفية الانتقال من المعنى الأول (السطحي) للنص الخطابي إلى المعنى الثاني أو الغرض الذي يريده منتج النص بواسطة الاستدلال العقلي ؛ فيقول : ((أو لا ترى أنك إذا قلت (كثير الرماد) أو قلت (طويل النجاد) أو قلت (نؤوم الضحى) فإنك في جميع ذلك لا تفيد غرضك الذي تعني بمجرد اللفظ ، ولكن يدل اللفظ على معناه الذي يوجهه ظاهره ، ثم يعقل السامع من ذلك المعنى على سبيل الاستدلال معنى ثانيا هو غرضك))[٣٦] .

ولتبيين ذلك وتأكيده نتناول فنون علم البيان في بناء الأفعال الإنجازية المباشرة وغير المباشرة في الخطاب اللغوي متخذين من حكم نهج البلاغة لأمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) ميدنا للبحث وعلى النحو الآتي :

أولا . التشبيه :

التشبيه تركيب لغوي يدلّ على مشاركة أمر لآخر في معنى من المعاني ، وذلك ما لم يكن على وجه الاستعارة التحقيقية أو المكنية أو التجريد ، لوجه جامع بينهما ، سواء أذكرت فيه أداة التشبيه ، كقولنا : (زيدٌ كالأسد) ، أو (كالأسد) بحذف (زيد) لقيام قرينة ، أم ما حذفت فيه أداة التشبيه وكان اسم المشبه به خبرا للمشبه ، أو في حكم الخبر ، نحو : (زيدٌ أسدٌ) ، وكقوله تعالى : { صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ }[٣٧] أي : هم ، وقولنا : (رأيت زيداً بحراً) [٣٨] .

((واتفق العقلاء على شرف قدره وفخامة أمره في فن البلاغة ، وإن تعقيب المعاني به . لا سيما قسم التمثيل[٣٩] منه . يضاعف في قواها في تحريك النفوس إلى المقصود بها)) [٤٠] .

ومن أمثلته في الخطاب الحكمي للإمام علي (عليه السلام) عندما يوصي أتباعه وشيعته أيام الفتن : ((كُن فِي الْفِتنَةِ كَابنِ اللَّبُونِ ، لاَ ظَهرٌ فَيُركَبَ، وَلاَ ضَرعٌ فَيُحلَب))[٤١] .

اعتمد الخطاب الحِكَمي المتقدّم على الفاعلية البلاغية للتشبيه في بناء فعل إنجازي ذي قوة إبلاغية غير مباشرة ، من خلال خلق صورة بصرية حسية تقوم على آلية التشبيه والتمثيل الذي جاء في أعقابه ؛ مما كساه رونقا وجمالا ، وذلك عندما أوجد فعلا إنجازيا ذا قوة إنجازية غير مباشرة غرضها النصح والإرشاد ، ارتكز على طرفي تشبيه ، أحدهما معقول وهو المشبه الذي يمثّل الحالة التي يجب أن يكون عليها الإنسان المؤمن أيام الفتن ، والآخر المحسوس (المشبه به) وهو ابن الناقة (الحوار) الذي أتى عليه سنتان .

لقد أثار الإمام عليه السلام . من خلال آلية التشبيه . خيال المتلقي وحفّزه على قبول الخطاب ، دافعا إياه دفعا لتفحّص المعنى المخبوء خلفه ، وتقبل الرسالة التي فحواها أن لا يكون الإنسان المؤمن . أيام الفتن . عونا للظلمة ، بل عليه أن يبعد نفسه عنهم ؛ فيكون بمأمن منهم ، إذ لا يتقي بقوتهم ولا يطمع في مالهم ، فهو بسلوكه هذا يكون بمنزلة الحوار الذي أتى عليه سنتان فلا له ظهر فيطمع في ركوبه ولا ضرع فيرغب في حلبه .

ومن الحِكَم الأخرى التي بُنيت على التشبيه ، ووظفها الإمام (عليه السلام) وسيلة بلاغية بيانية في بناء الفعل الإنجازي غير المباشر قوله في وصف الدنيا وأهلها : ((أهلُ الدُّنيا كَرَكبٍ يُسارُ بِهِم وهُم نِيامُ))[٤٢] .

الركب هو القافلة التي يشكّلها جماعة من الناس مستعملين الإبل أو الخيل يقصدون مكانا معينا في سفرهم ، فهم يعرفون وجهتهم ومقصدهم منذ بداية سفرهم ، لكنّ

المسافر إذا كان نائما فسوف يجهل معالم الطريق وشواخصه ، فضلا عن الجهل بمقصده ومكان وصوله .

وقد استثمر الإمام (عليه السلام) هذه الحالة فيرسم بواسطة التشبيه صورة حسية تثير الذهن وتدفع المتلقي للبحث عن العلاقة القائمة بين طرفي التشبيه للوصول إلى غرض الفعل وقصد الخطاب ، وذلك عندما شبه أهل الدنيا الغافلين عن هدفهم الذي خلقوا من أجله وهو عبادة الله تعالى؛إذ قال الله في محكم كتابه العزيز:{ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ }[٤٣] ، والتزود بالتقوى ؛ في قوله تعالى :{ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى } [٤٤] ، فإذا بهم يتغافلون عن سبب النشأة والخلق فيعيشون دون أن يكشفوا سر الحياة الدنيا ، فضلا عن الآخرة التي يخلدون فيها .

ومن هنا يشبههم الإمام بأصحاب الركب النيام الذين تغافلوا عن ركبهم ؛ فلا يعرفون من أين ؟ وفي أين ؟ وإلى أين ؟ .

إن هذا التشبيه الذي اعتمده الإمام (عليه السلام) حرك ذهن المتلقي للتفاعل مع هذه الحقيقة ؛ فأوجد فعلا إنجازيا غير مباشر ومعنى ثانيا . يتجاوز سمة الإخبار التي اتسم بها الخطاب في معناه الظاهر . يهتدي إليه المتلقي من خلال الارتكاز على آلية (حفريات النص) ليصل إلى قصد الخطاب وغرضه ، وهو التبليغ والتحذير ، ومفاده : إن الأشخاص الذين غفلوا عن الحياة الدنيا ومعرفة هدفهم فيها وسر وجودهم ، وانصاعوا وراء لذاتهم وأهوائهم وغرائزهم دون الالتفات إلى ما بعد الحياة والخلود في الحياة الأخرى ، غير متنبهين إلى أن الدنيا هي دار ممر لا مقر ، وإن الآخرة هي دار الخلود وإن مصيرهم يتوقف على ما يجنون في هذه الحياة إن كان خيرا فخير وإن كان شرا فشر، ولا يعون ذلك حتى يواجهون في آخر المطاف مصيرا لم يخطر على بالهم وهو نار جهنم . والعياذ بالله . فهم بسيرتهم هذه كركب يسار بأهله وهم نيام ، لا يعون ما يحصل لهم أثناء سيرهم وما ينتهون إليه من مصير .

وفي حكمة أخرى من الخطاب الحكمي للإمام (عليه السلام) يصف فيها الدنيا : ((مَثَلُ الدُّنيَا كَمَثَلِ الحَيَّةِ ، لَيِّنٌ مَسُّهَا ، وَالسَّمُّ النَّاقِعُ فِي جَوفِهَا ، يَهوِي إِلَيْهَا الغِرُّ الْجَاهِلُ ، وَيَحذَرُهَا ذُو اللُّبِّ الْعَاقِلُ))[٤٥] .

إن اعتماد الخطاب للتشبيه الذي يأتي للإيضاح ، موشّحا بالتمثيل الذي يحرك النفوس إلى المقصود[٤٦] ؛ مما يحقق ((للنفس من الأنس بإخراجها من خفي إلى جلي ، كالانتقال مما يحصل بالفكرة إلى ما يعلم بالفطرة ، أو بإخراجها مما لم تألفه إلى ما ألفته ... أو ما تعلمه إلى ما هي به أعلم ، كالانتقال من المعقول إلى المحسوس ، فإنك قد تعبّر عن المعنى بعبارة تؤديه وتبالغ)) [٤٧] .

وهذا ما نجده في نص الإمام (عليه السلام) الذي وجهه إلى المتلقي الذي ستشدّه الصورة المشتركة لأطراف العلاقة في التشبيه ، وإن هذه الصورة تحمل في طياتها المعاني المراد إيصالها له ، فعندما شبه الخطاب الحكمي الدنيا بالحية إنما أراد أن يشبه الدنيا بزخرفها وزبرجها وجمالها بالحية التي يعجب الرائي مظهرها وجمال ألوانها لكنها تخزن السم الزعاف في جوفها ؛ لذا يبتعد عنها اللبيب ويحذرها ، ويأمنها الجاهل فيها المغتر بها ؛ فيقترب منها ، فتفاجئه لا يستطيع النجاة منها أو الإفلات من بين أنيابها .

إن الدعوة التي أطلقها الخطاب الحكمي للإمام (عليه السلام) مفادها : الحذر من الدنيا وعدم الاغترار بها ، وعدم الركون إليها . وإن أظهرت له كل مفاتن الحسن والجمال . بل يجب التحفظ من غدرها والاحتراز منها .

وبذلك حقق الإمام (عليه السلام) فعلا إنجازيا غير مباشر، غرضه النصح والإرشاد والتحذير بواسطة آلية التشبيه والتمثيل وبما لهما من خاصية الإقناع والتأثير في النفوس ، وتحفيز ذهن المتلقي في الإقبال على الخطاب .

ومن النصوص الحكمية الأخرى للإمام (عليه السلام) التي اعتمدت التشبيه وسيلة بلاغية ، قوله في نصح ولده الإمام الحسن (عليه السلام) : ((إيَّاكَ ومصادقةَ الكذَّابِ ، فإنَّه كالسَّرابِ يقرّبُ عليك البعيدَ ، ويبعِّدُ عنك القريبَ))[٤٨] .

يلاحظ في النص الحكمي السابق أن الإمام (عليه السلام) قد حقّق غرض التحذير بواسطة التشبيه القائم على التخييل ؛ عندما شبه الكذاب بالسراب ؛ فأوجد النص الحكمي صورة حسية بصرية وفّرت أكبر قدر ممكن من الشعرية التي تحرك ذهن المتلقي للبحث عن العناصر المشتركة بين صفة الكذب والسراب وقد بينها الإمام

بطرح وجه الشبه المشترك بينهما الذي ختم به حكمته وهو ضبابية الرؤية التي تمنع من الوصول إلى الحقيقة كاملة .

ثانيا . الاستعارة :

((الاستعارة هي : أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر ، مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به ، دالا على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به ، كما تقول : في الحمام أسدٌ وأنت تريد به الشجاع ، مدَّعيا أنه من جنس الأسود ، فتثبت للشجاع ما يخص المشبه به ، وهو اسم جنسه ... أو كما تقول : إنّ المنية أنشبت أظفارها ، وأنت تريد بالمنية السبع ، بادعاء السبعية لها ... فتثبت لها ما يخص المشبه به ، وهو : الأظفار))[٤٩] ؛ وبذا يكون التركيب اللغوي البلاغي للاستعارة : ((هو شكل التشبيه الذي حذف أحد طرفيه ، تارة المشبه ، وتارة المشبه به ، وصرف مدلوله إلى المجاز بفعل السياق اللغوي الذي يضمّه))[٥٠] ؛ فالاستعارة عملية لغوية بلاغية تقوم على أساس المشابهة وتعتمد على نقل العبارة أو الصفة من موضع ما وضعت له في اللغة إلى غيره ؛ لغرض شرح المعنى أو إبانته أو تأكيده والمبالغة فيه أو الإشارة إليه بقليل من اللفظ ، أو تحسين السياق اللغوي الذي يبرز فيه [٥١] .

وتقسم الاستعارة على قسمين : تصريحية ومكنية ، فالتصريحية ما حذف فيها المشبه وذكر المشبه به ، والمكنية ما ذكر فيها المشبه وحذف المشبه به [٥٢] .

ولو عدنا إلى الخطاب الحكمي عند الإمام (عليه السلام) لوجدنا تفشي الاستعارة المكنية بشكل كبير دون التصريحة التي حدّها علماء البلاغة بحد معين وهو حذف المشبه وإبقاء المشبه به ، وذلك لا يعني خلو الخطاب الحكمي من الاستعارة التصريحية بشكل واضح ، بل أن الخطاب يعمد في كثير من بناه اللغوية في تحقيق القوة الإنجازية للفعل على استعارة ألفاظ من سياقاتها التي وضعت لها في أصل اللغة إلى سياقات لغوية جديدة ومبتكرة ، وهذا هو ((الأصل في الصورة الاستعارية أن تكون قائمة على الابتكار ، حتى تستطيع أن تمثل إعجاب النفس ، وتفاجئها بالمعاني والدلالات الإيحائية التخييلية التي لا عهد لها بها ؛ فتثير دهشتها واستغرابها ، لأن

الاستغراب والتعجب حركة للنفس إذا اقترنت بحركتها الخيالية ؛ قوي انفعالها وتأثرها ، ومهمة الصورة هي استكشاف شيء بمساعدة شيء آخر))[٥٣] .

ومن تلك الأقوال قوله (عليه السلام) : ((قلُوبُ الرِّجالِ وحشيةٌ ، فَمَن تألَّفَها أقبَلَت عليهِ))[٥٤] .

((إن الاستعارة القائمة على الابتكار والجدة في التصوير أكثر تأثيرا في نفس المتلقي من الاستعارة الذابلة أو المبتذلة ؛ لأن مثل هذه الاستعارة تزيد النفس زيادة معرفة لم تكن معروفة لها من قبل ، ولأن النفس تشعر باللذة تجاه هذه المعرفة الجديدة ... التي يكسبها المتلقي من هذه الصور الإستعارية النادرة البعيدة القائمة على الخلق والابتكار ، تزيد المعنى المراد نقله وضوحا ، والذات التي يراد الكشف عن مشاعرها جلاء))[٥٥] .

إن الجدة المبتكرة في الاستعارة التصريحية التي قام عليها الفعل الإنجازي ذو الغرض الإرشادي في خطاب الإمام (عليه السلام) السابق إنما تمثّل في مخالفة الأصل الذي جُبلت عليه النفس البشرية ، وذلك عندما استعار صفة التوحش من جنس الحيوان إلى جنس البشر ؛ وبذلك خالف الخطاب الأصل الطبيعي للنفس الإنسانية ، إذ جعل أصل طبيعة القلوب التوحش تستمال لأمر خارج عن هذه الطبيعة وهو التآلف والإحسان ؛ فوجّه لذلك ، في الآن الذي يكون فيه الأصل هو الأنس والصفو والسلامة تتكدر بأمر خارج عن ذلك وهو الإساءة والإيحاش [٥٦] .

ومن الأمثلة الأخرى التي مزج فيها الإمام (عليه السلام) بين الاستعارة والتشبيه قوله : ((الشَّفِيعُ جَناحُ الطالِبِ))[٥٧] .

إن الربط الدلالي بين الأشياء الواقعية غير المتجانسة أو التي يجدها المتلقي متنافرة أحيانا يحتاج إلى إدراك حسي وإعمال فكري وذهني ليجعل منها متجانسة في السياق اللغوي ؛ فالخيال عندما يستعين ببعض العناصر الحسية في الاستعارة فإنما يريد بذلك خلق عالم خيالي يجعل الإحساس خصبا والفكر متجددا [٥٨] .

الشفيع هو الذي يسعى في قضاء حاجة الغير ، وإطلاق لفظ الجناح . الذي يخص الطائر بحسب أصل الوضع في اللغة . على الشفيع هو مجاز حسن من باب الاستعارة

الموشّحة بالتشبيه[٥٩] ؛ فكما أن جناح الطائر وسيلة إلى طلب ما يحتاج إليه أو الهروب عند الفزع والخوف ، فكذلك الشفيع هو وسيلة للمُستشفع إلى تحصيل الأمر المطلوب ، أو الخلاص من الأمر المهروب منه ، وبذا حقّقت الاستعارة فعلا إنجازيا غير مباشر يهدف إلى التنبيه وحَثِّ الشفيع على السعي في الشفاعة ، كما حثَّت طالب الحاجة في حفظ الأخوان وادخارهم لوقت الحاجة للتوسل بهم في المطالب ؛ وبذلك أصبح الشفيع سببا في حصول المطلوب للطالب ، أو شركة في وجود هذا المطلوب ، كالجناح الذي هو آلة بها يحصل المطلوب ، كما أن الشركة بينهما حاصلة في الجزاء وذلك لقوله تعالى : { مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا }[٦٠] ، كما أن الشفاعة وقضاء الحوائج تعد من أسباب الألفة والمحبة وتؤدي إلى كثرة الخلق واجتماعهم ، وإن السعي فيها من القربات والوسائل إلى الله تعالى ، وتركها يعد مخالفة لمقتضى الحكمة الإلهية[٦١] .

وبذلك حقّقت الاستعارة في خطاب الإمام (عليه السلام) السابق مساحة مشتركة تمّ التفاعل فيها بين أطراف الصورة البلاغية وتوحّدها ، أي يتلاقى ويتواصل فيها بُعدا الصورة البلاغية سواء أكانت تلك الأطراف متوافقة أم متنافرة ، فهي مكنتها من تأدية وظيفتها الجمالية البلاغية والأسلوبية والدلالية ؛ وبذلك أصبحت الاستعارة أداة تدفع القارئ إلى اكتشاف أنواع ترابط الأفكار وتداعيها ، فأوجدت فعلا إنجازيا مكتنز الدلالات اختفى في فيافي النص هدفه التحفيز والحث .

ومن الأمثلة الأخرى قول الإمام (عليه السلام) : ((غَيرَةُ المَرأَةِ كُفرٌ، وغَيرَةُ الرَّجُلِ إِيمَانٌ))[٦٢] .

إنما جاءت استعارة لفظة الكفر . في خطاب الإمام . لغيرة المرأة ولفظة الإيمان لغيرة الرجل وذلك لاعتبارات يمكن ملاحظتها فيما ورد عن الموروث الفقهي والعقدي للنبي (صلى الله عليه وآله) وآل بيته الأطهار وعلماء المسلمين والباحثين .

فقد ورد عن النبي العديد من الأحاديث الشريفة في حب الله للغيور من الرجال[٦٣] ، منها قوله : ((كَانَ أَبِي إبراهِيمُ عليهِ السَّلامُ غَيُورا وأنا أَغيَرُ مِنهُ ، وَأَرغَمَ اللهُ أَنفَ مَن لا يَغارُ مِنَ المؤمِنينَ)) [٦٤] .

كما ورد عن الإمام الباقر (عليه السلام) قوله : ((إنَّ اللهَ لم يجعل الغِيرةَ للنساءِ ، وإنَّما جَعلَ الغِيرةَ للرِّجالِ ؛ لأنَّ اللهَ قَد جَعلَ للرَّجُلِ أربَعَةَ حَرائرَ وما مَلَكَت يَمِينُهُ ، ولم يَجعَل للمَرأةِ إلّا زَوجَها وَحدَهُ ، فإن بَغَت مع زَوجِها غَيرَهُ ؛ كانَت عِندَ اللهِ زانِية ، وإنِّما تَغارُ المُنكَراتُ مِنهُنَّ ، أمّا المُؤمِناتُ فَلا)) [٦٥] .

ومما ذكر عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنَّ غِيرَةَ المَرأةِ هو حَسَدُها ، والحَسَدُ هو أصلُ الكُفرِ ، والنِّساءُ إذا غِرنَ غَضِبنَ وإذ غَضِبنَ كَفَرنَ إلَّا المُسلِماتُ مِنهُنَّ ؛ لِذا حُبِّب في المَرأةِ عَدمُ الغِيرَةِ ، والغِيرَةُ صِفَةٌ مَحَبَّبَةٌ في الرِّجالِ ، بَل ليس الغِيرَةُ إلَّا للرِّجالِ ، ومَن لَم يَغر مِنَ الرِّجالِ فَهوَ مَنكُوسُ القَلبِ [٦٦] .

لقد استطاعت هذه الاستعارة من خلال عنصر الجدة القائم على أساس جمع صورتين من صور المفارقة : (غيرة المرأة كفر / غيرة الرجل إيمان) أن تكشف لنا عن أشياء لم ندركها من قبل ، فخلقت أبعاد إنسانية جديدة ، وذلك بحثِّها على أمرين[٦٧] ، الأول : وجوب تخلي المرأة عن غيرتها وانسياقها وراء عاطفتها ، التي قد تقودها إلى تصرفات تخالف الشرع كرفض تعدد الزوجات للرجل ، فترفض بدافع الغيرة مشاركة غيرها زوجها معها ، متناسية أن الزواج جائز بشرط أن يتكفل الرجل حقوقها كاملة ، امتثالا لقوله تعالى : { وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ }[٦٨] ، أو ما يحصل في وقتنا الحاضر من عدم التقيّد بالحجاب والملابس المحتشمة التي تضفي عليها سمة العفة والوقار ، وقد يكون ذلك بدافع الغيرة من أقرانها في تقليد النساء اللواتي تجردنَ عن القيم الإسلامية فتركنَ اللباس المحتشم ، وأصبحن كسلعة معروضة يطلبها من يرغب فيها ؛ وبذلك خرجت المرأة من دائرة المرأة المسلمة المحتشمة الملتزمة ، وقد تدفع الغيرة وحب الذات والاستعلاء عند بعض النساء إلى معاملة أقرانِهنَّ من المؤمنات بسلوك يحمل سمة الانتقاص والاحتقار وإشعار الطرف المقابل بالوضع الاجتماعي والاقتصادي المتدني لها ؛ مما يدفعها ذلك إلى عدم الاهتمام بما توجهه من قول أو فعل إلى الطرف المقابل ؛ لما يلحق الأذى والضرر بحياة غيرها أو يتهم بخيانة أو دناءة أو غيرها ، وكل ذلك إرضاء لما تشعر

بداخلها من عقدة الشعور بالنقص عند بعض النساء ، كل تلك الأمور قد تقع بدافع الغيرة التي قد تخرج المرأة من دائرة الاتزان إلى دائرة الإفراط أي من حالة الإيمان إلى حالة الكفر وعدم الإيمان .

الأمر الآخر الذي دعا إليه الخطاب وحَثَّ عليه بواسطة توظيفه فن الاستعارة هو تحلي الرجل بالغيرة ، وما يعنيه ذلك من اتصافه بالمعاني الإيجابية التي تكمل سمات شخصية الرجل كالحَميَّة ، ورفضه كل ما من شأنه أن يخدش عرضه ، أو ما يصونه من الأهل والمال والوطن وسائر القيم والمبادئ والمقدسات التي تعني التكامل في خط الإيمان وعلى درب الفضيلة ، مما يجعله لائقا بحق أن يوصف بسمة الرجل المؤمن الغيور بكل ما تحمله تلك الكلمات من انضباط ، وحسن تصرف ، وسلوك يمهد إلى طريق الإيمان المتكامل .

وبذلك تكون النتيجة لصالح الطرفين ، فلو التزم الجميع بما يفرضه الإسلام من أحكام شرعية وآداب إسلامية لاستطاعوا أن يكونوا نواة صالحة ترفد المجتمع بما فيه الصلاح والإصلاح ، بعكس الأمر لو تخلى الرجل عن غيرته وتمسكت بعض النساء بغيرتها ذات الأفكار والأفعال التي تمليها عليها عاطفتها المنحرفة عن السلوك القويم .

لقد استطاعت الاستعارة أن تعيد تنسيق عناصر المحتوى الدلالي للخطاب وفق أفكار ورؤى جديدة ، أخرجتها من بعدها السطحي الدلالي المتمثّل بالغرض انجازي المباشر للنص ، لتتجه بها نحو بعدها العميق (النفسي) المتمثّل بالغرض الإنجازي غير المباشر له ؛ فيربط . بذلك . بين عناصر المحتوى ربطا غير مألوف ، ويثير دهشة ، ويحدث استجابة مطلوبة ، وينجز الخطاب ما ينشده من غرض وقصد جعله شِعارا له تحت دِثاره .

أما ما يخص الاستعارة المكنية في الخطاب الحكمي عند الإمام (عليه السلام) قوله : ((إِذَا وَصَلَت إِلَيْكُم أَطرَافُ النِّعَمِ فَلاَ تُنفِّرُوا أَقصَاهَا بِقِلَّةِ الشُّكرِ))[٦٩] .

إن الاستعارة تحفز الخيال لتصوّر الأمور والأحداث ، ثم ترغّب المتلقي في إنجاز الفعل المراد إيصاله له ؛ وهذا ما نلمسه في حكمة الإمام (عليه السلام) المتقدمة الذكر ، فقد استعار الإمام (عليه السلام) ألفاظ طرف الشيء وأقصاه ونسبها للنعم

فجعل للنعم أطراف كأطراف البساط أو السماط أو غيره مما يتصف بها ، كما استعار لفظ التنفير لها ، وهو من الألفاظ التي تستعمل في تنفير الطير ، وهو بذلك قد شبه النِّعَم بالطير إذا سقط أوله اتصل به آخره .

وفي هذه الصورة البلاغية التي ارتكزت على فن الاستعارة حاول الإمام (عليه السلام) أن يصور فاعلية وأثر الدعاء على النفس الإنسانية بمحاولة شحذ خيال تصور المعنى العقلي بمعنى حسي من خلال صفة تنفير النعم ، وبيان العلاقة القائمة بين المستعار منه والمستعار له ؛ كي تتضح الصورة ومن ثم طرح الرسالة التي يريد الخطاب إيصالها للمتلقي ، تلك الرسالة التي التحفت بين فيافي النص ، وذلك القصد غير المباشر الذي اختبأ تحت ظلال المعنى الأول للخطاب المتمثّل في التحفيز والترغيب في الدعاء ، وأن دوام الشكر من العبد تجاه الخالق (تبارك وتعالى) يستلزم دوامها وكثرتها[٧٠] ، وقد ذكر الله تعالى ذلك في قوله الكريم : { وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ } [٧١] .

ويطالعنا نص حكمي آخر للاستعارة المكنية في قوله (عليه السلام) : ((إِذَا اسْتَوْلَى الصَّلاَحُ عَلَى الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ ، ثُمَّ أَسَاءَ رَجُلٌ الظَّنَّ بِرَجُلٍ لَمْ تَظْهَرْ مِنْهُ خِزيةٌ فَقَدْ ظَلَمَ ، وَإِذَا اسْتَوْلَى الْفَسَادُ عَلَى الزَّمَانِ وأَهْلِهِ فَأَحْسَنَ رَجُلٌ الظَّنَّ بِرَجُلٍ فَقَدْ غَرَّرَ))[٧٢] .

لا يمكن للاستعارة أن تؤدي الوظيفة المناطة بها إلا إذا اندرجت في نسق لغوي جملي محدد ؛ ((لأن الاستعارة تجاوز الاقتصار على كلمة واحدة ، وهي تحصل من التفاعل أو التوتر بين بؤرة المجاز والإطار المحيط بها)) [٧٣] .

لذا تجد أن استعارة الخطاب الحكمي لصفة الاستيلاء من الكائن العاقل أو حتى غير العاقل إلى معنى عقلي مجرد وهو الإصلاح والفساد لم يكن ليؤدّى الغرض منه إلا عندما اندرج في أسلوب لغوي وسياق لفظي ساهم في تحقيق الغرض المقصود من الخطاب تجاه المتلقي ، أضف لذلك ما حققته أسلوبية المقابلة البلاغية التي اتسم بها الخطاب ، كل ذلك شكل مرتكزا بيِّنا للاستعارة لتحقق الفعل الانجازي للنص الحكمي .

لم يَدعُ الإمام (عليه السلام) إلى سوء الظن بالآخرين ، بل على العكس من ذلك تماما ؛ إذ دَعَت التشريعات الإسلامية الأخلاقية والسلوكية إلى حسن الظن بالمؤمنين ،

والاجتناب عن سوء الظن عمل يبعد الإنسان عن الوقوع في المحرمات ، فقد جاء في كتاب الله الكريم : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ }[٧٤] ، فسوء الظن يوصل الإنسان إلى مرتبة الإثم والعياذ بالله ، وقد ترجم الإمام (عليه السلام) ذلك بعدة أقوال منها قوله : ((لَا وَرَعَ كَالوقُوفِ عِندَ الشُّبهَةِ))[٧٥] ، وقوله : ((لَيسَ مِنَ العَدلِ القَضَاءُ عَلَى الثِّقَةِ بِالظَّنِّ))[٧٦] .

إنما أراد الإمام (عليه السلام) توجيه المتلقي للخطاب وإيصال رسالة فحواها أن على الإنسان المؤمن أن يحذر في التعامل بحسن الظن مع الآخرين إذا كانت البيئة الاجتماعية قد انتشر فيها الفساد واستولى على مفاصل الدولة ، فإن كانت البيئة بيئة إسلامية صالحة محصنة من مساوئ الأخلاق فلا مندوحة أن يتعامل الإنسان مع باقي أفراد المجتمع بحسن ظن وثقة .

ومن ذلك قوله (عليه السلام) في الرزق وأنواعه : ((اَلرِّزقُ رِزقَانِ : طَالِبٌ وَ مَطلُوبٌ ، فَمَن طَلَبَ اَلدُّنيَا ؛ طَلَبَهُ اَلموتُ حَتَّى يُخرِجَهُ عَنهَا ، وَمَنْ طَلَبَ اَلآخِرَةَ ؛ طَلَبَتهُ اَلدُّنيَا حَتَّى يَستَوفِيَ رِزقَهُ مِنهَا))[٧٧] .

طلب الشيء من صفات الكائن الحي ، وبما أن النص يدور في سياقه العام حول وصف سلوك الإنسان في الحياة الدنيا ، فقد استعار الإمام (عليه السلام) صفة الطلب من الإنسان للرزق والموت والحياة ، وهو استعارة مكنية ألبست المستعار له (الرزق / الموت / الحياة) صفة الكائن الحي ، ويسمى هذا الأسلوب اللغوي البلاغي بالتشخيص .

إن ((التشخيص عملية نفسية ، وظيفته التأثير في نفس المتلقي ، وإثارة انفعاله المناسب عن طريق تشخيص المعاني المجردة في صور حسية يخيّل للمتلقي أنها متحدة بها ، وإنما يصار لذلك من أجل المبالغة في تأكيد الصفات ، وإثباتها للمعاني التي يراد عرضها من خلال الصورة ومن أجل جعل التخييل الذي تحدثه الصورة في مخيلة المتلقي عن طريق التشخيص ، أقدر على إحداث الاستجابة المناسبة))[٧٨] .

وهنا منحت الاستعارة المكنية المعنى العقلي المعنوي (الرزق / الموت / الحياة) معنًى حسيا ملموسا ؛ أي أنها صورت الرزق والموت والحياة بصورة الكائن الحي

الطالب للإنسان ؛ وبذا استطاعت الاستعارة بواسطة التشخيص أن تحقق وظيفة التأثير في نفس متلقي النص ، محقّقة الفعل الإنجازي وغرضه الذي ينشده الإمام (عليه السلام) وهو التنفير عن طلب الدنيا وحصر الإنسان هدفه بذلك دون سواه ، مع ما يلزمها من الغاية المقدرة وهو الموت ، فكأن الأخير طالب للمرء لغاية إخراجه من الدنيا ؛ بسبب طلبه لها ، ورغّب في طلب الآخرة بما يلزمه من طلب الدنيا حتى يصل إليه رزقه منها وهو محمود [٧٩] .

لقد أضفت الاستعارة المكنية بواسطة التشخيص نوعا من الحياة بتحويلها الشيء المعنوي اللامحسوس إلى شيء مادي محسوس يمكن التعبير عنه ؛ فسهلت بذلك على المتلقي إدراك المعنى المراد وبلوغ الهدف .

ثالثا . الكناية :

((الكناية : لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ ، كقولك : (فلان طويل النجاد) أي طويل القامة ، و (فلانة نؤوم الضحى) أي مرهفة مخدومة ، غير محتاجة إلى السعي بنفسها في إصلاح المهمات ؛ وذلك أن وقت الضحى وقت سعي نساء العرب في أمر المعاش ... فلا تنام فيه من نسائهم إلا من تكون لها خدم ينوبون عنها في السعي لذلك ، ولا يمتنع أن يراد مع ذلك طول النجاد ، والنوم في الضحى من غير تأويل))[٨٠] .

وتعد الكناية من الأدوات التي وظفها الإمام (عليه السلام) في بناء الخطاب الحكمي ؛ وذلك لما لها من قدرة تأثيرية في إثارة المدركات الحسية لدى المتلقي ؛ مما ينعكس ذلك في قدرتها على التعبير عن أغراضها وأهدافها المتوخّاة في النص اللغوي . ومن أمثلة ذلك : قوله عليه السلام : ((عَجِبتُ لِعامِرٍ دارَ الفَناءِ وتارِكٍ دارَ البَقاءِ))[٨١] .

كنّى الإمام (عليه السلام) عن الدنيا بدار الفناء وعن الآخرة بدار البقاء ، وهي حقيقة يدركها الإمام (عليه السلام) وصرّح القرآن بها ؛ وذلك في قوله تعالى : { وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً }[٨٢] ، وقوله تعالى : { يَا قَوْمِ إِنَّمَا

هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ }[٨٣] ؛ إنما استعمل الإمام (عليه السلام) الكناية لما تملكه من خاصية جمالية وقوة إقناعية ودليل وحجة ، تدفع المتلقي إلى تخيل الصورة ، وتجعله يستشعر الخوف على مصيره ، ثم الانصياع لهذا التحذير الذي بينته الكناية من عدم طلب الدنيا وعمارتها ؛ فإن مصيرها إلى زوال وفناء ، كما هو مصير النبات الذي ضربه الله لها مثلا إلى هلاك وبوار ، ولكن اطلبوا الآخرة الباقية واعملوا لها ، والتمسوا ما عند الله بطاعته ، فإن الله يدعو أولياءه داره وهي جنته التي أعدّها لأوليائه البررة ، فتسلموا من الهموم والأحزان فيها ، وتأمنوا من فناء ما فيها من النعيم الذي أعده الله لأوليائه المتقين ؛ وبذلك نشّطت الكناية ذهن المتلقي ودفعته إلى إدراك ذلك بوعي .

ومن أمثلة الكنايات الأخرى التي بُنيت عليها أفعال الكلام في خطاب الإمام (عليه السام) قوله :

((يَنزِلُ الصَّبرُ على قَدرِ المُصِيبةِ ، وَمَن ضَرَبَ يدَهُ على فَخِذِهِ عِندَ مُصِيبَتِهِ ؛ حَبِطَ أَجرُهُ))[٨٤]

((إن الله سبحانه جعل للإنسان قوة استعداد لأن يصبر بمقدار مصيبته ، فمن تمّ استعداده ؛ أُفيض عليه ذلك المقدار من الصبر ، ومن قصُر في الاستعداد لحصول هذه الفضيلة وارتكب ضدها وهو الجزع ؛ حبط أجره وهو ثوابه على الصبر))[٨٥] .

لقد كنّى الإمام عن الجزع بما يلزمه وهو ضرب اليدين على الفخذين ، فلو ذكر المعنى الصريح (الجزع) مجردا من التصوير ؛ لكان خاليا من جمال التعبير ، وقوة التأثير في المتلقي ؛ فلا يستطيع أن يؤدّي المعنى كما أدته الكناية ، إذ منح الفن الكنائي المتخيل العقلي صورة مرئية حسية تراها العين وتسمعها الأذن ، ووهب حسن التصوير الذي اتشحت به الكناية المعنى قوة تأثير لا يمكن أن يجدها المتلقي في المعنى الصريح [٨٦]، وهنا جاء عمل الكناية المتمثّل بتجسيد المعاني المعقولة بصورة محسوسة ؛ ليساهم في إدراك الغرض المقصود وهو التحذير من الجزع أثناء المصيبة لما يقوده ذلك من بطلان الأجر من الله (سبحانه وتعالى) ، ولا شك إن إظهار

المعنى المقصود بفعل غير مباشر القصدية بواسطة الفن الكنائي ليترك أثرا كبيرا في نفوس البشر خاصة المؤمنين منهم .

ومنها أيضا قوله (عليه السلام) : ((مَن يُعطِ باليَدِ القَصِيرَةِ ؛ يُعطَ بِاليَدِ الطَّوِيلَةِ))[٨٧] .

كنّى الإمام (عليه السلام) بالطول والقصر عن الكثرة والقلة في العطاء ، ووشّح هذه الكناية باستعارة لفظ اليد من باب المجاز المرسل القائم على علاقة السببية ؛ لأن اليد هي سبب العطاء .

ولو تدبرنا هذه الكناية وما فيها من دقة التعبير وجمال الصياغة ؛ لأدركنا أن الخطاب لا يمكن أن يؤدّي مقصده بغيرها من الألفاظ ؛ وذلك لشدة التناسق والترابط والانسجام بين ألفاظها ومعناها ، إذ غطّى الإمام المعنى الحقيقي بهذا الستار الشفاف ، داعيا المتلقي إلى كشف أغوار النص والوصول إلى المعنى المتواري خلف هذا المعنى المجازي ، فيشعر بلذة الكشف عن المعنى من خلال تفكيك عناصر النص تمهيدا للوصول إلى غرضه وفحواه ، فالمتلقي يخضع . دائما . لتجاربه الخاصة وثقافته وعادات مجتمعه ليتأكد المعنى ويتقرر .

لقد استحضرت هذه الكناية صورة ذهنية عند المتلقي فمنحت معنًى ثابتا يطمئن إليه العقل ويتأثر به القلب ؛ فحققت بذلك استمالة المتلقي والسامع لكي يتفاعل مع قصد الخطاب ، ومفاده ((إن ما ينفقه المرء من ماله في سبيل الخير والبر . وإن كان يسيرا . فإن الله يجعل الجزاء عليه عظيما كثيرا ... ففرق عليه السلام بين نعمة العبد ونعمة الرب ... لأن نعم الله سبحانه أبدا تضعّف على نِعَم المخلوقين أضعافا كثيرة إذ كانت نعمة الله تعالى أصل النعم كلها فكل نعمة إليها ترجع ومنها تنزع))[٨٨] ، وقد أشار القرآن الكريم لذلك بقوله تعالى : { مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا }[٨٩] ، وقوله تعالى : { إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعِفْهُ لَكُمْ }[٩٠] .

ومن التعابير الكنائية التي استعملها الإمام (عليه السلام) في تحقيق الفعل الإنجازي قوله : ((للظَّالِمِ البَادِي غَدَا بِكَفِّهِ عَضَّةٌ))[٩١] .

وظّف الإمام (عليه السلام) صورة عضّ الكف في الكناية عن الندامة ، ووصف الظالم بالبادي احترازا عن المكافي الذي يجزي الظلم بالظلم [٩٢] ، وهي صورة يضعها الإمام بين يدي الظلمة والطغاة وما سيؤول إليه حالهم وموقفهم أمام الله يوم القيامة ، وهم يقفون مطأطئي الرؤوس أذلاء بين يدي جبار السموات والأرض ، يعضُّون على أصابعهم من شدة ندمهم على ظلم العباد ولكن لات حين مندم ، وهي صورة استحضرها الإمام من قوله تعالى : { وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ }[٩٣] .

وهنا وضّحت الكناية المعنى المراد والغرض من النص المتمثّل بالتحذير من صفة الظلم ، والتنبيه من الوقوع فيها بواسطة تقريب الفكرة المجردة من الصورة المحسّة بروعة تعبيرها وجمال تصويرها وشدة تأثيرها في النفس ، فالتصوير يعطي الكناية قوة تأثير في النفس لا نجدها في المعنى الصريح [٩٤] ، حتى جاءت الكناية مصورة موحية بالمعنى المراد من خطاب الإمام (عليه السلام) ، إذ أظهرت المعنى وافيا بألفاظ موجزة ، ونشطّت ذهن المتلقي لإدراك الحقيقة بواسطة تخيل الصورة التي جعلته يستشعر الخيفة والشفقة على نفسه من هذا المصير المحتوم ، ومن ثَمَّ يتعزّز مدى تقبّل متلقي الخطاب لهذه الحقيقة وإدراكها بوعي ثُمّ التسليم والاقتناع بهذا التنبيه والتحذير .

الخاتمة :

وفي ختام بحثنا هذا نلخِّص ما توصلنا إليه بالآتي :

١. منهج التداولية هو من المناهج اللسانية المهمة التي ظهرت مع بدايات التفكير اللساني اليوناني .

٢. تعني التداولية دراسة اللغة للوصول إلى مقاصد الخطاب ضمن سياقات الاستعمال المتمثّلة بالمتكلم والسامع والسياقات المختلفة المحيطة بالخطاب .

٣. تُرجِم مصطلح التداولية إلى مصطلحات عدة في العربية كالتبادلية والاتصالية والنفعية والذرائعية .

٤. بدأت إرهاصات هذا العلم في الدرس اللساني الحديث عند بيرس وذلك في دراسته للدليل اللغوي ، وموريس عند دراسته للسيميائية .

٥. ترتكز التداولية على أربعة معايير مهمة هي : الإشارة ، والافتراض المسبق ، والاستلزام الحواري ، ونظرية الأفعال الكلامية .

٦. تعد نظرية الأفعال الكلامية من أبرز مباحث الدرس التداولي ، وخاصة فيما يتعلق بالفعل الإنجازي الذي يعد أساس النص اللغوي وقصدية الخطاب .

٧. يعد أوستن وسيرل من أبرز منظري التداولية في الدرس اللساني المعاصر ، خاصة فيما يتعلق بتقسيمهم لأفعال الكلام الإنجازية .

٨. تتمثل القوة الإنجازية للفعل الانجازي بتحقيق قصدية الخطاب بصورة مباشرة أو غير مباشرة .

٩. ارتبط علم البلاغة بإعجاز القرآن ؛ لذا وجّه العلماء جهودهم لدراسة فنون البلاغة ، خاصة فيما يتعلق بفنون علم البيان كالتشبيه والاستعارة والكناية ، التي شكّلت مرتكزا مهما من مرتكزات بناء الخطاب العربي عامة والقرآني خاصة ؛ فدارت بحوثهم حول المعنى الظاهري والمعنى العميق أو المعاني الأول والمعاني الثواني ، وكان الجرجاني من أبرز الباحثين في هذا المجال في كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة .

١٠ . يعد نهج البلاغة الذي ضم خطب الإمام علي (عليه السلام) ورسائله وكتبه وحِكَمَه بحرا زاخرا لفنون البلاغة وأسرار الفصاحة ، وتناسق العبارة وانسجامها ، وجزالة الكلمة وروعة جرسها ؛ لذا قصده الباحثون في فنون بديع القول . الذي تربع على عرش جمال البلاغة العربية . يغترفون من فنون البيان وصوره وأساليبه التي كلّما تعمّقوا في بحرها انكشفت لهم كنوز لا تنتهي .

١١. غطّت فنون علم البيان المتمثّلة بالتشبيه والاستعارة والكناية مساحة واسعة من الخطاب الحِكَمي عند الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة ، إذ وظّف تلك الفنون في بناء القوة الإنجازية للفعل الكلامي ؛ فجاءت الصور البلاغية البيانية تثير خيال المتلقي وتحفّز ذهنه لقبول الخطاب والبحث في ما وراء النص للوصول إلى المعاني الدفينة القابعة في قاع النص وفيافيه ؛ وذلك من خلال إثارة المدركات الحسية لدى المتلقي التي عملت على تحريك ذهنه للتفاعل مع غرض النص ومطلبه سواء

أكان الفعل الإنجازي اعتمد قوته الإنجازية المباشرة أم غير المباشرة في تحقيق قصدية الخطاب المتمثّلة بالنصح والإرشاد والتنبيه والترغيب والتحذير وغيرها .

١٢ . نهض فن الكناية في خطاب الإمام علي (عليه السلام) بالدور الأكبر في تحقيق المقاصد غير المباشرة ثم الاستعارة ثم التشبيه .

الهوامش :

[١] . ينظر : المنطق البراغماتي عند بيرس : ص١٩٦ .

[٢] . ينظر : دليل الناقد الأدبي : ص ١٦٧ .

[٣] . ينظر : مبادئ في اللسانيات : ص١٥٨ . ١٥٩ .

[٤] . ينظر : مدخل إلى اللسانيات التداولية : ص١٨ ، ١٩ .

[٥] . ينظر : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ص٩ . ١٠

[٦] . مبادئ في اللسانيات : ص ١٥٨ .

[٧] . ينظر : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ص١٣ .

[٨] . ينظر: مدخل إلى اللسانيات التداولية : ص١١ , وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ص١٠ . ١١ .

[٩] . ينظر : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ص١١ ، ١٢

[١٠] . مبادئ في اللسانيات : ص١٨٥

[١١] . ينظر : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ص١٤ .

[١٢] . ينظر : المصدر نفسه : ص١٣ .

[١٣] . ينظر : المنطق البراغماتي عند بيرس : ص١٩٨ .

[١٤] . ينظر : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ص١٥ .

[١٥] . ينظر : المصدر نفسه : ص١٥ فما بعدها .

[١٦] . ينظر : المصدر نفسه : ص٤١ . ٤٢ .

[١٧] . ينظر : المصدر نفسه : ص٤٣ ، و مدخل إلى اللسانيات التداولية : ص٢٢ .

[١٨] . ينظر : مدخل إلى اللسانيات التداولية : ص٢٢ .

[١٩] . ينظر : التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد : ص١٤٢ فما بعدها .

[٢٠] . ينظر : مدخل إلى اللسانيات التداولية : ص ٢٢ فما بعدها .

[٢١] . ينظر : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ص٤٥ .

[٢٢] . ينظر : مدخل إلى اللسانيات التداولية : ص٢٥ .

[٢٣] . ينظر : التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد : ص٢٢٢ فما بعدها .

[٢٤] . ينظر : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ص٤٧ .

[٢٥] . ينظر : مدخل إلى اللسانيات التداولية : ص٢٥ فما بعدها .

[٢٦] . ينظر : نحو نظرية عربية للأفعال الكلامية : (بحث) منشور في مجلة الدراسات اللغوية ، الرياض ، مجلد ١ ، عدد١، أبريل . يونيو ، ١٩٩٩: ص١٧٧ فما بعدها .

[٢٧] . ينظر : التداولية النشأة والتطور (بحث) منشور في مجلة المخبر / الجزائر : ص١٧ .

[٢٨] . ينظر : مدخل إلى اللسانيات التداولية : ص٢٩ .

[٢٩] . ينظر : نحو نظرية عربية للأفعال الكلامية (بحث) منشور في مجلة الدراسات اللغوية ، الرياض ، مجلد ١ ، عدد١، أبريل . يونيو ، ١٩٩٩: ص٢٢ .

[٣٠] . معايير مبدأ التعاون الحواري التي أقرها كرايس ، التي تقوم عليها عملية حوارية تواصلية ناجحة بين المتكلم والسامع ، هي : (مبدأ الكم ، ومبدأ الكيف ، ومبدأ المناسبة ، ومبدأ الطريقة) ينظر : مدخل إلى اللسانيات التداولية : ص٣٣

[٣١] . ينظر : كتاب الصناعتين : ص١ .

[٣٢] . قراءة جديدة للبلاغة القديمة : ص٥ . ٦ .

[٣٣] . يقابل الفعل الإنجازي المباشر في الدراسات التداولية المعاني الأول عند علماء البلاغة ، كما يقابل الفعل الإنجازي غير المباشر المعاني الثواني عندهم .

[٣٤] . دلائل الإعجاز : ص٩٥ .

[٣٥] . المصدر نفسه : ص٢٦٣ .

[٣٦] . المصدر نفسه : ص ٢٦٢ .

[٣٧] . البقرة : ١٨ .

[٣٨] . ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة : ص١٨٨ .

[٣٩] . (التمثيل : ما يكون وجه الشبه فيه منتزع من متعدد أمرين أو أمور عدة) ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة : ص٢١٦

[٤٠] . نهج البلاغة : ص١٨٨ .

[٤١] . المصدر نفسه : ٧٠٣ .

[٤٢] . المصدر نفسه : ٧١٥ .

[٤٣] . الذاريات : ٥٦

[٤٤] . البقرة : ١٩٧ .

[٤٥] . نهج البلاغة : ٧٣٠ .

[٤٦] . ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة : ص١٨٨

[٤٧] . المصدر نفسه : ص١٩٠

[٤٨] . نهج البلاغة : ص٧١١ .

[٤٩] . مفتاح العلوم : ص٣٦٩ .

[٥٠] . الاستعارة في النقد الأدبي الحديث : ص٥٤ .

[٥١] . ينظر : كتاب الصناعتين : ص٢٥٩ فما بعدها .

[٥٢] . ينظر : مفتاح العلوم : ص٣٧٣ .

[٥٣] . الاستعارة في النقد الأدبي الحديث : ص٢٣٥ .

[٥٤] . نهج البلاغة .: ص٧١٤ .

[٥٥] . الاستعارة في النقد الأدبي الحديث : ص٢٣٦ .

[٥٦] . ينظر : شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد : ١٨ / ٢٨٨

[٥٧] . نهج البلاغة : ص٧١٥ .

[٥٨] . ينظر : الاستعارة في النقد الأدبي الحديث : ص١٤٣ ، ١٥٠ .

[٥٩] . ينظر : مائة كلمة للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) : ص١٥١ .

[٦٠] . النساء : ٨٥

[٦١] . ينظر : مائة كلمة للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) : ص١٥٢ .

[٦٢] . نهج البلاغة : ص٧٣٢ .

[٦٣] . ينظر : تفصيل وسائل الشيعة : ٢٠ / ١٥٥

[٦٤] . المصدر نفسه : ٢٠ / ١٥٤ .

[٦٥] . المصدر نفسه : ٢٠ / ١٥٤ .

[٦٦] . ينظر : المصدر نفسه : ٢٠ / ١٥٢ . ١٥٦ .

[٦٧] . ينظر : أخلاق الإمام علي (عليه السلام) : ص٢٤٧ فما بعدها .

[٦٨] . النساء : ٣ .

[٦٩] . نهج البلاغة : ص٧٠٥ .

[٧٠] . ينظر : شرح نهج البلاغة : ابن ميثم البحراني : ٥/ ٩٣٨

[٧١] . إبراهيم : ٧ .

[٧٢] . نهج البلاغة : ص٧٢٩ .

[٧٣] . الاستعارة في النقد الأدبي الحديث : ص٨ .

[٧٤] . الحجرات : ١٢ .

[٧٥] . شرح نهج البلاغة : ابن ميثم البحراني : ٥/ ٩٦٢ .

[٧٦] . المصدر نفسه : ٥ / ٩٨٦ .

[٧٧] . نهج البلاغة : ص٨٠٢ .

[٧٨] . الاستعارة في النقد الأدبي الحديث : ص٢٤١ .

[٧٩] . ينظر : شرح نهج البلاغة : ابن ميثم البحراني: ص١٠٢٤ .

[٨٠] . الإيضاح في علوم البلاغة : ص٢٧٣ .

[٨١] . نهج البلاغة : ص٧٣٣ .

[٨٢] . الكهف : ٤٥ .

[٨٣] . غافر : ٣٩ .

[٨٤] . نهج البلاغة : ص٧٣٦ .

[٨٥] . شرح نهج البلاغة : ابن ميثم البحراني : ٥ / ٩٧١ .

[٨٦] . ينظر : بلاغة الكناية والتعريض في القرآن الكريم دراسة تطبيقية في سورة الزمر (بحث) منشور في مجلة البدر ،المجلد ١٠ ، العدد ٨ ، ٢٠١٨ : ص٩٠٣.

[٨٧] . نهج البلاغة : ص٧٢٥ .

[٨٨] منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة : ٣ / ٣٤٣ .

[٨٩] . الأنعام : ١٦٠ .

[٩٠] . التغابن : ١٧ .

[٩١] . نهج البلاغة : ٧٤٢ .

[٩٢] . ينظر : منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة : ٣ / ٣٣٧

[٩٣] . الفرقان : ٢٧ .

[٩٤] . ينظر : بلاغة الكناية والتعريض في القرآن الكريم دراسة تطبيقية في سورة الزمر (بحث) منشور في مجلة البدر ،المجلد ١٠ ، العدد ٨ ، ٢٠١٨: ص٩٠٤

المصادر :

- القرآن الكريم

- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : محمود أحمد نحلة ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، ط١ ، ٢٠٠٢ م .

- أخلاق الإمام علي (عليه السلام) : محمد صادق محمد رضا الخرسان ، دار المرتضى ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦ م .

- الاستعارة في النقد الأدبي الحديث (الأبعاد المعرفية والجمالية) : يوسف أبو العدوس ، الأهلية للنشر والتوزيع ، عمان - الأردن ، ط١ ، ١٩٩٧م .

- الإيضاح في علوم البلاغة : محمد بن عبد الرحمن القزويني (ت ٧٣٩هـ) ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، مؤسسة المختار ، القاهرة ، ط٢ ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤ م .

- التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد : صلاح إسماعيل عبد الحق ، دار التنوير ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٣ م .

- تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة : محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤ هـ) ، تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ، قم ، ط٤ ، ١٤٣٨هـ .

- دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٩٩٢م .

- دليل الناقد الأدبي : ميجان الرويلي وسعد البازغي : المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط٣ ، ٢٠٠٢ م .

- شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٦هـ) ، تحقيق : محمد إبراهيم ، دار الكتاب العربي ، بغداد ، ط١ ، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م .

- شرح نهج البلاغة : كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت ٦٧٩ هـ) ، دار الحبيب ، البحرين ، ط٢ ، ١٤٣٠هـ .

- قراءة جديدة للبلاغة القديمة : رولان بارت ، ترجمة : عمر أوكان ، رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠١١م .

- كتاب الصناعتين : أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت ٣٩٥ هـ) ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، ط١ ، ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م

- مائة كلمة للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) : شرح كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت ٦٧٩ هـ) ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢ م .

- مبادئ في اللسانيات : خولة طالب الإبراهيمي ، دار القصبة ، ط٢، الجزائر ، ٢٠٠٦ م .

- مدخل إلى اللسانيات التداولية : الجيلالي دلاش ، ترجمة : محمد يحياتن ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ١٩٨٦ .

- مفتاح العلوم : يوسف بن محمد بن علي السكاكي : (ت ٦٢٦ هـ) ، ضبط وتعليق : نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط٢ ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

- المنطق البراغماتي عند بيرس : حامد خليل ، دار الينابيع ، مصر ، ١٩٩٦ .

- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة : قطب الدين أبو الحسين سعيد بن هبة الله الراوندي (ت ٥٧٣ هـ) ، تحقيق : عبد اللطيف الكوهكمري ، مطبعة الخيام ، قم ، ١٤٠٦هـ .

- نهج البلاغة : محمد بن الحسين بن موسى الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ) ، تحقيق : قيس بهجت العطار ، شعبة إحياء التراث والتحقيق ، العتبة العلوية المقدسة ، ط١ ، ١٤٣٧هـ .

البحوث المنشورة :

- بلاغة الكناية والتعريض في القرآن الكريم (دراسة تطبيقية لسورة الزمر) : سعاد عطا الله ، مجلة البدر ، المجلد ١٠ ، العدد ٨ ، جامعة بشار ، ٢٠١٨م .

- التداولية النشأة والتطور : سحالية عبد الحكيم ، مجلة المخبر ، جامعة بسكرة ، الجزائر .

- نحو نظرية عربية للأفعال الكلامية : محمود أحمد نحلة ، مجلة الدراسات اللغوية ، (محرم - ربيع الأول ، ١٤٢٠ هـ ، أبريل - يونيو ، ١٩٩٩م) المجلد ١ ، العدد١ ، الرياض .